حيوات النساء في الريف اليمني وعملهنّ غير المنظور

تقديم: د. سكينة هاشم

مقدمة:

يعتبر عمل المرأة والرجل وإنتاجهما على حد سواء من آليات التنمية الاقتصادية والاجتماعية. ولما كانت أعمال المرأة الريفية التي تقوم بها في المنزل أو في الحقل تواجه ندرة في الدراسة، حاولتُ من خلال هذا البحث إلقاء الضوء على حيوات النساء الريفيات في اليمن من خلال عملهّن غير المنظور. لأنه عمل غالباً ما يتم تجاهله، ولا تُحتسب خلاله بالتالي أدوار المرأة ضمن إنتاجية الرجل.

ولقد تمّ التركيز على تبيان القيمة الاقتصادية والاجتماعية لإنتاج المرأة وعملها غير المنظور، وكذلك على تحديد الدلالات الاقتصادية والاجتماعية المختلفة لهذا العمل، عبر تبيان العلاقة بينه وبين العادات والتقاليد الاجتماعية السلبية السائدة، وما يتخلّل ذلك من مفاهيم اقتصادية خاطئة تؤثر سلباً على الواقع الحياتي للمرأة وعلى دورها ومكانتها في عملية التنمية في اليمن.

منهج الدراسة وأدواتها:

استند هذا البحث الميداني إلى المنهج الوصفي التحليلي. وجرى جمع المعلومات المتعلقة بالمرأة الريفية في اليمن وأدوارها الاقتصادية والاجتماعية في إطار مجتمعها وأسرتها خلال شهر تموز/ يوليو من عام ٢٠٠٥. كما استُخدمت تقنية المقابلة مع أربع نساء "من كبار السن"، وذلك بالتساوي بين محافظتين من محافظات الجمهورية اليمنية، وهما: محافظة "أبين" الواقعة في الجنوب الشرقي للعاصمة صنعاء، ومحافظة "مأرب" الواقعة في الجهة الشرقية من العاصمة اليمنية. واستُخدمت الاستمارة مع ١٠ نساء أميات من المحافظتين أيضاً، بمعدل خمس مستجوبات من كل محافظة. وتناولت أسئلة الاستمارة والمقابلة آراء المستجوبات أنفسهنّ ورأي مجتمعهنّ بعملهنّ.

أولاً: المرأة اليمنية الريفية ودورها الاقتصادي والاجتماعي:

تُعتبر المرأة الريفية أحد العناصر الفاعلة في التنمية الوطنية– القومية الشاملة. إذ تشكّل الأساس الذي يقوم عليه العمل الزراعي في الريف اليمني. بحيث يعتمد عمل المرأة هذا على الأعمال الزراعية الحقلية، من إعداد الأرض وتخصيبها وقلع الجذور والحصاد. وذلك جنباً إلى جنب مع الرجل في حال كان مقيماً مع أسرته في الريف، بالإضافة إلى قيامها بكامل الأعمال المنزلية، وبالاهتمام بتربية الأطفال وتربية الحيوانات.

غير أن النظرة إلى واقع المرأة الريفية لا تعكس بشكل فعلي القيمة الاقتصادية لعملها خارج المنزل أوخارج النشاط الزراعي عموماً. من ذلك مثلاً، عملها في مشروعات إنتاجية وحرفية صغيرة[1] كغزل الأوبار والأصواف ونسجها، وصناعة الأجبان ومشتقات الألبان وغيرها.

وفي حين أن الأسرة والبيئة المجتمعية التقليدية لا تزالان تعملان على استبعاد المرأة وتهميشها عبر إقصائها سياسياً واقتصادياً واجتماعياً عن المجال العام، فإن بعض المتغيرات الاقتصادية المؤثرة سلباً على معيشة الأسرة الريفية قد تسهم مستقبلاً في تطوير القيم الاجتماعية والثقافية إزاء نشاط المرأة. بمعنى التعويل على قبول المجتمع التقليدي – مجتمع الرجال – بتعليم المرأة وعملها، لاسيما مع تزايد حجم الأسر الريفية الفقيرة. ولئن اعتبرت مشاركة المرأة اليمنية ضمن المتغيرات الاجتماعية التي ارتبطت بدولة الوحدة، فإن حجم مشاركتها لا يزال ضئيلاً ومحدوداً.
وفي الوقت الذي عبّرت فيه المرأة الريفية عن تطلّعها إلى تفعيل مشاركتها في المجال العام، اندرجت أنشطتها في اليمن–كما في معظم البلدان العربية– في مجالات الأعمال والأنشطة غير المأجورة وغير المحسوبة إحصائياً، لأن غالبية أعمال النساء في اليمن تقع في القطاعات غير الرسمية البعيدة عن الملاحظة المكتبية والإدارية، ولا ينفذ إليها التسجيل الرسمي. هذا بالإضافة إلى ما للعادات والتقاليد السائدة في المجتمع من تأثير في قوقعة المرأة وعزلها عن الحياة العامة. ولعلّ ندرة، لا بل انعدام الدراسات والبحوث المتخصصة في هذا المجال، أو عدم دقّة المعلومات الموثّقة، في حال وجدت، غالباً ما تجعل هذه المعلومات مبنيّة على افتراضات غير واقعية وغير شاملة لأدوار كلّ من المرأة والرجل.
ولقد أشار تقرير التنمية البشرية في اليمن لعام ١٩٩٨[2] إلى أن نسبة القوى العاملة من الجنسين في اليمن بلغت حوالي ٢٥،٤% من إجمالي السكان، بعد أن بلغت هذه النسبة عام١٩٩٤ نحو ٣٧% من مجموع السكان من سن١٥ سنة فأكثر. وتوزعت تلك النسبة بين ٢٩،٩% للرجال

[1] - الصلاحي، فؤاد، ملخص دراسة بعنوان: أوضاع المرأة الريفية وقضايا النوع الاجتماعي، دراسة ميدانية تحليليه، المؤتمر الوطني الثاني للمرأة "المرأة شريك أساسي في التنمية"، صنعاء، ٨-١٠ مارس ٢٠٠٣".

[2] - تقرير التنمية البشرية ، اليمن، وزارة التخطيط والتنمية ، ١٩٩٨، ص ٢٠.

وحوالي٧،٦%للنساء. مما يعني تدني نسبة عمل المرأة الريفية وإنتاجيتها الذي قد يكون عائداً إلى التركيب العمري الفتي للسكان وإلى ضآلة مشاركة الإناث في قوة العمل نتيجة لعدة أسباب منها،العادات والتقاليد الاجتماعية السائدة وتدني مستوى المرأة اليمنية تعليمياً وثقافياً، الذي حال بدوره دون انخراط المرأة في الأعمال المنظورة.

نظرة حول مساهمة المرأة في الأعمال الزراعية:

من المعروف عن النظام الزراعي في اليمن أنه نظام مطريّ على الغالب (يعتمد على هطول الأمطار وتدفقها بالدرجة الأولى). إذ تقدّر نسبة الأرض المزروعة بالمحاصيل والتي تعتمد في ريها على الأمطار بنحو ٦٣% من مجموع مساحة الأرض المزروعة المقدرة بنحو ١،١ مليون هكتار، والموصوفة بأنها تقوم على الاعتماد المتبادل بين كلّ من الإنتاج النباتي والحيواني[٣]. مما قد يفسّر مساهمة المرأة الريفية في الإنتاج الزراعي جنباً إلى جنب مع الرجل، بسبب قسوة الحياة الطبيعة في الريف التي جعلت المرأة والرجل يقومان بأعمال مشتركة مضنية تزيد من حيث صعوبتها وقسوتها عن تلك الأعمال التي يقوم بها الرجال والنساء في الوسط الحضري. علماً بأن غالبية قرى الريف اليمني لا تزال بعيدة كل البعد عن نمط العيش في الحضر، ولا تزال الزراعة فيها تشكّل العمود الفقري للحياة في الريف.المرأة اليمنية لا تزال تشارك إذن، أباها وزوجها جنباً إلى جنب في الأعمال الزراعية[٤]. فهي "تلعب دوراً في إنتاج الغذاء الزراعي وهو ما يشكل العمود الفقري للأمن الغذائي[٥]"، وتتفق كذلك "حوالي"١٦ساعة" يومياً في الأعمال الزراعية والمنزلية"[٦].

وتشير بعض الدراسات إلى أن المرأة الريفية تقوم بالأعمال الحقلية أكثر من قيام الرجل بها. ويؤكد أحمد الصياد على أن " إسهام المرأة الريفية في موسم الحصاد قد تجاوز إسهام الرجل حيث لا تزال قرى الريف تشهد حتى اليوم الحصاد الجماعي الذي تشترك فيه معظم نساء القرية أو نساء العائلة، وهنَ يرددن الأهازيج والأغاني الشعبية بما يساعدهنّ على مواصلة الجهد بهمّة وعزيمة، وينسيهنّ المعاناة والأتعاب التي يحتمها عمل الأرض وحصادها"[٧]. ناهيك بأن نشاط المرأة الريفية يستغرق منها اليوم بكامله وجزءاً من الليل. في حين أن الأعمال المناطة بالرجل هي أعمال موسمية مثل موسم الحرث والدرس.

---

[٣] - هزاع مقبل، عبد الولي ، بحوث اقتصادية عربية، واقع المرأة الريفية ودورها الاقتصادي في الزراعة، مجلة عربية تصدرها اللجنة العربية للبحوث الاقتصادية، السنة الثامنة، العدد السابع عشر، ص ٨٥.

[٤] الصياد، أحمد: المرأة اليمنية وتحديات العصر، ط١، بيروت، دار المدى ، ١٩٩٥، ص ٤٣.

[٥] الباز، شهيدة: سياسة إستراتيجية النوع في مجال الزراعة والأمن الغذائي، يوليو ١٩٩٨، ص ٩٥.

[٦] - المرجع السابق نفسه، ص ٩٥.

[٧] - الصياد، أحمد: م س، ص ٤١.

الأعمال الحقلية التي تقوم بها المرأة:

يتمثّل العمل في الأرض في "اقتلاع الأعشاب الضارة بالبذور، وبناء الأحواض الرملية، واستخدام الأسمدة ومواد الوقاية، وتجهيز المصاطب، وتقليم الأغصان الخميلة، واقتلاع الأعشاب، والحصاد والدرس، وتخزين المنتجات، وإدارة مخازن العائلة، واختيار البذور، ونقل المحاصيل، وإبعاد الطيور عن المحاصيل وثمرة المحصول، كما يساعدنَ في إعداد الأرض والتخطيط"[٨].

وفي بعض المناطق الريفية تقوم النساء بأعمال الحراثة والدرس والتسويق بينما تقتصر هذه الأعمال في مناطق أخرى على الرجال. يؤكد ذلك غانم في دراسته عن دور المرأة في التنمية، والتي ذكر فيها "أن المرأة الريفية تقوم بحرث الأرض وإعدادها وتسويتها، والبذر والري، والتسميد، وغيرها من الأعمال.[٩]

ولاشك أن هذه الأدوار للمرأة الريفية تختلف نسبياً من منطقة إلى أخرى في الجمهورية اليمنية، ومن محافظة لأخرى لكنها تحتسب على أنها ذات مردود مادي، لكن من دون أن تكون عملياً محسوبة الكلفة.

العمل في تربية الحيوانات:

تساهم المرأة الريفية اليمنية بشكل كبير وأساسي في كل جزئيات تربية أنواع الثروة الحيوانية التي تمتلكها وأسرتها. وأبرز الأعمال التي تقوم بها في هذا المجال هي إنتاج الأعلاف وتجميعها، وذلك بغرض إطعامها للحيوانات، مما يتطلب من المرأة وقتاً وجهداً لتجميع المواد الغذائية ومن ثم لتنقيتها من الحشائش الضارة بالحيوانات التي تعنى بتغذيتها في المنزل، أو قيامها بتحزيمها وربطها ونقلها إلى الأماكن المخصصة للتخزين، واضطّرارها للعمل في حقول الغير مقابل حصولها على علف لحيواناتها وأسرتها.

بالإضافة إلى ذلك تقوم المرأة الريفية بإحضار الحيوانات إلى المراعي وحمايتها من الحيوانات المفترسة؛ كما تقوم بتوليدها ورعاية صغارها. وتطعم المرأة الريفية أيضاً الأبقار يومياً باليد، وتنظّف الحظائر وتخرج الروث(المخلفات الصلبة) وتنقلها إلى المخازن للاحتفاظ بها كسماد. ومن ثمة تقوم بتدوير جزء من تلك المخلفات وتكويره ليصبح صالحاً للوقود المنزلي.

ويقدر الباحثون الوقت الذي تنفقه المرأة الريفية في إطعام الأبقار يدوياً بثلاث ساعات يومياً، ولا يقلّ ما تنفقه من الوقت في توفير العلف للحيوانات عن أربع ساعات يومياً، هذا بالإضافة إلى مسؤولياتها الخاصة في تسمين الأغنام وحلبها والخروج بها إلى الحقول[١٠].

---

[٨] - مقبل، عبد الولي هزاع: م سا ص ص ١٠٠-١٠٢.

[٩] - غانم أحمد، عبد الرحمن: دور المرأة اليمنية في التنمية الريفية، الدراسات الاجتماعية، العدد الثامن١٩٩٩، جامعة العلوم والتكنولوجيا، ص ٢٧.

[١٠] - المحفدي، أفراح: ، "المرأة ودورها في حماية البيئة وتحسينها"، ورقة عمل قدمت إلى ورشة العمل التدريبية ،وزارة الزراعة- الإدارة العامة لتنمية المرأة الريفية، صنعاء ، مايو ٢٠٠٠، ص ٣٤.

ومن أهم الحيوانات التي تقوم المرأة الريفية بتربيتها على سبيل المثال الأغنام والماعز والأبقار والحمير...إلخ، كما تقوم بتربية الطيور الداجنة، مثل الحمام، والدجاج والأرانب[١١].

وبما أن نمط الإنتاج الزراعي السائد الذي يعتمد على زراعة المحاصيل وتربية المواشي لا يزال واسع الانتشار في اليمن، وعلى الرغم من كونه يمرّ بمرحلة انتقالية نحو التحديث، فإن استخدام المواشي للعمل في الحقول وجمع مخلفاتها لاستعماله في التسميد والطاقة المنزلية، كذلك منتجات اللحوم والألبان لا زالت تشكّل جزءاً هاماً من الاقتصاد المنزلي.

وبناءً عليه يتعلق وجود المواشي والمتاجرة بها بمعيشة الأسرة الريفية. لأنها تشكّل استثماراً مهماً ووسيلة نقل وقوة رئيسية في العمل في آن معاً. كما تعتبر الأغنام والأبقار أحد مصادر دخل المواطن في الريف وخصوصاً في حالات ارتفاع أسعارها في الأسواق الأسبوعية[١٢].

أما تربية الحمير فلها أهميتها الخاصة لأنها الوسيلة الأولى والمناسبة لنقل المحاصيل والمياه، ولأن تربيتها لا تحتاج إلى عناء كبير مقارنة بالأعمال المضنية الناتجة عن تربية الأبقار. فيما تؤمن تربية الدواجن حاجة المنزل للبيض واللّحوم ، وتشكّل أحد مصادر الدخل الثابت بالنسبة للنساء الريفيات اللّواتي يقمنَ ببيع منتجاتهنّ بانتظام.

هذا ويُستفاد من تربية الأغنام والماعز في إنتاج الحليب واللحوم. وتسهم العناية الكبيرة بها في تنويع دخل الأسرة الريفية وزيادته. وتقوم المرأة بإضافة حليب الأغنام والماعز إلى حليب البقر بغرض إنتاج اللّبن والسمن. مما يدفع بالأسرة إلى عدم شراء هذه المنتجات وإدخار بعض الأموال.

ولئن كانت الأسرة الريفية اليمنية تعتمد على تربية الحيوانات اعتمادا أساسياً في العمل الزراعي، فإن كلّ تلك المسؤوليات والمهام تقع على عاتق المرأة؛ الأمر الذي يفيد بالقول إن المرأة اليمنية الريفية لم تكن في يوم من الأيام بمعزل عن المشاركة في اقتصاد الأسرة، خصوصاً في ميادين العمل الزراعي. وأن هذا الجهد يشير إلى إسهاماتها منذ زمن بعيد في الحياة الاقتصادية، حتى قبل احتساب مشاركة المرأة الحضرية في التنمية. حتى ان بعض التقديرات تشير إلى أن عمل المرأة الريفية اليمنية في المجال الزراعي يفوق أحياناً، بمختلف مراحله عمل الرجل الريفي.

مساهمة المرأة الريفية في الأعمال المنزلية:

بالإضافة إلى كل الأعمال التي تقوم بها المرأة الريفية في الحقل أو في تربية الحيوانات، فإنها تعتبر عملياً المسؤولة الرئيسية عن أعمال المنزل وعن إعداد المستلزمات المنزلية للأسرة.

---

[١١] - أحمد غانم، عبد الرحمن: م س، ص ٣٠.

[١٢] - اكربون، آن ماري و بيجفيلد، كاترين: دور المرأة في الثروة الزراعية والحيوانية في ج.ي.، منظمة أوكسفام، كانون الأول، ديسمبر، ١٩٩٥.

فتطبخ وتغسل الملابس وتجلب الماء بمختلف الوسائل من مناهل قريبة أو بعيدة. كما تقوم بجمع الحطب ونقله حملاً على رأسها أو على ظهرها. وهي تعنى أيضاً بنظافة المنزل، إلى جانب مسؤولياتها في تربية أطفالها والاهتمام بهم وتلبية جميع متطلباتهم ورعايتهم تعليمياً، إن كانت قد أخذت قسطها من التعلم .

وتجدر الإشارة إلى أن المرأة الريفية اليمنية تقوم أيضاً –بحسب ميولها وقدراتها الفنية والمهنية– بعدّة أنشطة منزلية أخرى مثل، بعض الصناعات المنزلية البسيطة المرتبطة بالمحصول الزراعي وغيرها من الصناعات التقليدية اليدوية، وأعمال الدباغة والغزل والحياكة والتطريز. وهي تقوم بهذه الأعمال من أجل بيع السلع أو مبادلتها تلبيةً لاحتياجات الأسرة.

ثانياً: خصوصية التقسيم الاجتماعي للعمل بين النساء والرجال

يقوم تقسيم العمل الاجتماعي في الريف اليمني على النوع الاجتماعي، والعمر، ونوع المحصول، والعمل الموسمي وأدوات العمل.

فعلى صعيد النوع الاجتماعي هناك تقسيم اجتماعي للعمل بين النساء والرجال في الأعمال الزراعية، بحيث تنحصر مهمة الرجل التقليدية في الحرث والتسويق بالإضافة إلى بذر الأرض وحصادها ومعالجة المحاصيل، لاسيما "الأعمال الموسمية". بينما تتحمل المرأة مسؤولية التخزين وتزداد الأعباء المنوطة بها في حال هجرة الرجل وخاصة في المناطق التي تعتمد على الأمطار في الري فتصبح مسؤولية المرأة القيام بجميع المهام الزراعية التي كان يتحملها زوجها والتي تلخصها سنتيامنتي[١٣] في الجدول الآتي:–

جدول تقسيم الأعمال بين النساء والرجال في الريف اليمني

عمليات الحرث	يقوم بها الرجال وأحياناً النساء
عمليات البذر	تقوم بها النساء وأحياناً الرجال.
عمليات التجفيف	تقوم بها النساء وأحياناً الرجال.
عملية الحصاد	تقوم بها النساء وأحياناً الرجال.
عملية الدرس	يقوم بها الرجال وأحياناً النساء
عملية الغربلة	تقوم بها النساء وأحياناً الرجال.
عملية التسميد	تقوم بها النساء وأحياناً الرجال.
عملية جمع الجذور	تقوم بها النساء وأحياناً الرجال.

[١٣] - سنتيامنتي: النساء والتنمية بالجمهورية العربية اليمنية،صنعاء، المجموعة الاستشارية للجهاز المركزي للتخطيط، ابريل١٩٨٣، ص ٦٠.

عملية تنقية الأعشاب الضارة	تقوم بها النساء.
عملية رش المبيدات الكيماوية والسماد الكيماوي	يقوم بها الرجال.

هذا فيما يتعلق بالعمل الزراعي، أما بالنسبة لتربية الحيوانات فانها تقع بأكملها على عاتق المرأة، إضافة إلى الأعمال المنزلية ورعاية الأطفال وجلب المياه ومواد الوقود كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

أما تقسيم العمل على أساس العمر فعائد إلى العادات العائلية السائدة في المجتمع اليمني والتي تحتّم توزيع أعمال الأسرة الواحدة بين النساء حسب السن، وحسب الاحتياجات. إذ بالإمكان أن تتولى امرأتان شؤون البيت ورعاية الماشية، بينما تعمل الأخرى في الحقل فيما تقوم المرأة الكبيرة برعاية الماشية أو ببعض الصناعات الخزفية. أما المرأة الولود فيوكل إليها أمر الاهتمام بالأطفال وإعداد الطعام وتنظيف الملابس والمنزل. وتتحمل الفتاة الشابة الأعمال الشاقة التي تتطلب جهداً كبيراً، مثل جمع الحطب، العمل في الحقل، نقل الماء من مسافات بعيدة، وتتولى الفتاة الصغيرة مهمة مساعدة كلّ النساء لجهة تقريب مستلزمات أعمالهنّ[١٤]. فتقوم الفتيات حسب دراسة لهزاع بإحضار الماء والوقود ورعي الماشية وإرواء الحيوانات وصنع السماد من الروث" (مخلفات الحيوانات)، ونقل المحاصيل، بينما تقوم النساء الأكبر سناً بتحضير الطعام وببعض المهام الحقلية حسب مواعيدها، إلى جانب إطعام الأبقار وحلبها واستخراج مشتقات الألبان، كالزبد والسمن وصناعة الأجبان وإدارة مستودعات الحبوب. أما النساء المسنّات فتارة يقمن بمطاردة الطيور عن المحاصيل واختيار البذور والعناية بالأطفال، وتارة يؤدين بعض الأعمال الخفيفة كبذر البذور، وتنقية الأعشاب الضارة، وأعمال التجفيف بمساعدة الأطفال[١٥].

وفي ما يخصّ تقسيم العمل حسب نوع المحصول، فإن المرأة في الغالب لا تقوم بجني المحاصيل النقدية وزراعتها (القات، البن، العنب وغيرها من الفواكه)، ويستثنى من ذلك محصول القطن في تهامة لأنه يحتاج إلى يد عاملة كثيرة عدا عن زراعة القات في جبل صبر بالقرب من مدينة تعز. أما نساء منطقة عمران فإنهن يشاركن لكن ليس منذ زمن بعيد في زراعة الخضروات. وربما كان ذلك عائداً إلى ازدياد معدل هجرة الرجال.

وفي منطقتي يريم ورداع وما جاورهما فإن النساء يساعدنَ في جمع الأعشاب الضارة من حقول القات. والملاحظ أن تقسيم العمل يحول دون مشاركة المرأة عموماً في الإنتاج السلعي، لأن الرجل

[١٤] - سيجر إليزابيث، كيرين: المرأة والتغير في الجمهورية اليمنية، مرجع سابق، ص ١٦٤.
[١٥] - عبد الولي هزاع: م س، ص ١٠٠.

هو المسؤول عن إنتاج المحاصيل النقدية، فيما تقع على عاتق المرأة الريفية مهمة إنتاج المحاصيل المعيشية.

هذا وتختلف أعمال النساء الريفيات حسب الموسم كما أشارت إلى ذلك سنتيامينتي. ففي فصل الشتاء يقمنَ بإعداد التربة للزراعة، عن طريق تسميدها وإزالة الأعشاب الضارة والجذور، ومن ثم يقمن بعملية البذر والتشتيل والتعشيب خلال فصل الصيف، ومن ثم جمع المحصول وحمله وتخزينه[١٦].

أما عن أدوات العمل التي تستخدمها المرأة الريفية في الحقول فتقتصر على الأدوات الزراعية التقليدية (المنجل، الفأس، اليد)[١٧]، إلى جانب استعمالها بعض الآلات التي تحملها البهائم والأبقار أو الجمال (كالمشبر والمحراث وغيرها).
وقد بيّنت الدراسة الميدانية أن هناك أعمالاً لا تمارسها النساء عموماً. إذ أشارت تسع نساء من بين النساء العشر اللّواتي جرى استجوابهنّ إلى أن البناء ونعل مواده هما من الأعمال التي لا تمارسها المرأة في العادة في أكثر من محلة وقرية، باستثناء بعض النساء اللّواتي تعودن القيام بهذه الأعمال. وينطبق الشيء نفسه على ذبح الأغنام والأبقار الذي يُعتبر كذلك من الأعمال المخصّصة للرجال، فتُعفى منها المرأة. هذا بالإضافة إلى بعض الأعمال التي تتطلّب مجهوداً كبيراً، والتي تغدو غير مقبولة ولا يستساغ للمرأة القيام بها، من ذلك مثلاً، حرث الأرض بواسطة الثور.

ثالثاً: في علاقة عمل المرأة بمكانتها الاجتماعية:

لئن بيّن كل ما تقدّم إسهامات المرأة الريفية في الميادين الاقتصادية، لاسيما الأعمال الكثيرة التي تقوم بها والتي تؤثر كثيراً في الاقتصاد المنزلي من غير أن تكون مدفوعة الأجر، فإن الأعمال غير المنظورة هذه لم تؤثر في تحسين النظرة إلى مكانتها الاجتماعية. لأن عمل المرأة الريفية لا يزال يعتبر من الواجبات المتعارف عليها. لذا لم يعطَ هذا العمل حقه في الحسابات القومية والناتج المحلي. بل يقتصر الأمر على ذكر عمل المرأة المدفوع، المسجل في القطاع الرسمي. وعلى الرغم من أن وثائق المؤتمر الوطني للسياسات السكانية تؤكد أهمية دور المرأة الريفية في مجال العمل الزراعي إلا أن هناك تناقضاً في فهم هذا الدور في المجتمع اليمني. إذ ثمة إجماع على دور المرأة في النشاط الزراعي وتعدد مهامها فيه، لكن في ظلّ تعارض هذا الفهم مع الاتجاهات الاجتماعية السائدة للأدوار التي تؤديها المرأة الريفية. فالرجل هو صاحب الدور

[١٦] - سنتيامينتي: المرأة والعمل والسكان والتنمية في الجمهورية اليمنية، صورة المرأة اليمنية في الدراسات الغربية، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، سلسلة دراسات، ترجمة أحمد جرادات، ص١٤٩.
[١٧] - آن ماري كاترين: دور المرأة في الثروة الزراعية والحيوانية في الجمهورية اليمنية، ص ٢٤.

الاقتصادي وهو المعيل لأفراد الأسرة، مما لا يتفق مع واقع المرأة بصورة عامة. وعندما يسأل الفرد عن عمل المرأة الريفية وأهميته تكون الإجابة المباشرة عمل البيت ورعاية النشء والتحطيب وجلب الماء والتعشيب، بينما لا يلقى الضوء على الدور الحقيقي والمتعدد للمرأة ودورها في الزراعة[١٨]. فيما يحتكر الرجل تسويق المنتجات، حتى إذا كان المنتج المباع قد أنتجته المرأة نفسها. ولا يقتصر الأمر على عدم احتساب دورها وجهدها في التنمية بل يتم تجاوز ذلك إلى حرمانها من حق التصرف في إنتاجها ومن المشاركة في العائد وممارسة الدور الاجتماعي الذي يتناسب مع دورها الكبير في العملية الإنتاجية.

وبذلك لم تؤثر المشاركة الفعّالة للمرأة في الأعمال الزراعية المختلفة في تحسين مكانتها في الأسرة والمجتمع، لاسيما وأنها لا تزال محرومة من الملكية ومن حقّها الكامل في التصرف بتلك الملكية.

رابعاً: أوقات النساء من خلال عملهنّ المنزلي:

بيّنت الدراسة الميدانية اتّخاذ عمل النساء في الريف اليمني مسارين: مسار الأعمال المنزلية الاعتيادية ومسار الأعمال المنزلية الموسمية واليومية. إذ أشارت ٨ مستجوبات من مجموع المستجوبات العشر إلى أن الطبخ وإعداد الطعام يومياً للوجبات الثلاث لكل أفراد الأسرة، مهما كبر حجمها أو صغر، يعتبر من مسؤولية المرأة. فالطبخ هو من أهم الأعمال المنزلية اليومية، وقد يستغرق من النساء ما يقارب الثلاث ساعات إلى أربع ساعات يومياً، وخصوصاً إذا ما انفردت الواحدة منهنّ بخبز العيش(أي الخبز). يلي ذلك قيامهنّ بتنظيف الأواني الذي قد يستغرق منهنّ بين أربعين إلى ستين دقيقة، أي بمعدل ساعة بعد كل وجبة. يلي ذلك تنظيف المنزل مرة واحدة في اليوم. فيما يستغرق جلب الحطب بين ثلاث ساعات وأربع ساعات. أما مسؤولية العناية بالأطفال فتستغرق ساعة واحدة فقط.

ويُعتبر غسل الملابس من الأعمال المهمّة التي تقوم بها النساء أيضاً، وعادة ما يستغرق ساعتين إلى ثلاث ساعات من زمن النساء العشر اللّواتي تمّ استجوابهنّ.

أما بالنسبة للأعمال المنزلية الموسمية واليومية، فأشارت ٦ مستجوبات من مجموع المستجوبات العشر إلى أنهن يجلبن الماء من أماكن بعيدة إلى المنازل عدّة مرات في اليوم الواحد، وأن جلب المياه يستغرق منهنّ مابين ساعة إلى ساعة ونصف الساعة ذهاباً وإياباً. وغالباً ما يقمن بهذا

[١٨] - المؤتمر الوطني الأول للسياسات السكانية في الجمهورية اليمنية، ص ١٩٩٨.

العمل في موسم الشتاء بالذات أو في مواسم الجفاف حين تتوقف الأمطار وتجف الينابيع القريبة ويُستنفَذ المخزون المنزلي.

هذا وأشارت نساء ثمانٍ من بين النساء العشر إلى أن تحضير السمن يعتبر من أعمالهنّ الموسمية التي يقمنَ بها في المنزل بعد حلب الأبقار. بحيث يجري تحضير اللبن لكي يُستخرج منه السمن وبيعه لسدّ حاجة الأسرة. وهي عملية إنتاجية تتطلّب وقتاً يقدر بساعة أو ساعتين وأكثر أحياناً إذا كانت كمية السمن المستخرج كبيرة.

أوقات النساء من خلال عملهنّ في الحقل:

أشارت ٧ نساء إلى أن حصاد المزروعات وجني المحصول من الثمار هما من الأعمال التي يقمن بها في الحقل والتي يستغرق منهنّ العمل فيهما وقتاً طويلاً جداً قد يمتد إلى منتصف النهار، وذلك بحسب حجم الأرض وعدد المغروس. ثلاث نساء فقط أشرنَ إلى أن هذا العمل قد يستغرق منهنّ أحيانا وقتاً أطول قد يمتدّ "من الصباح إلى المساء".

هذا ويستغرق سقي المزروعات وقتا أطول وجهدا أكبر (بين ٤-٥ ساعات يومياً)، لاسيما إذا كانت الحقول والمزارع تُروى من مياه الينابيع والجداول الصغيرة. وأكدت النساء أن هذا العمل هو من أهم الأعمال الزراعية للمرأة في الحقل إلى جانب غرس الأشجار الذي يستغرق العمل فيه من ٥ إلى ٦ ساعان. في حين يُعتبر حرث الأرض من الأعمال الأقل أهمية وإن كان يستغرق منهنّ أحياناً بين ٣ إلى٤ ساعات لكن في أوقات معيّنة وليس بشكل دائم.

أما قطع الأعلاف للحيوانات فهو من الأعمال شبه اليومية التي تقوم بها النساء، والذي يستغرق منهنّ وقتاً طويلاً يمتد إلى ٨ ساعات يومياً.

وهناك أعمال موسمية ويومية مختلفة للمرأة خارج المنزل أشارت إليها النساء أيضاً. فأجمعت غالبيتهنّ على اختلاف طبيعة أعمالهنّ خارج المنزل، أي في المزارع، وعلى اختلاف طبيعة هذا العمل بحسب المواسم من جهة أخرى. فيكون موسم جمع المحصول مثلاً، من أكثر المواسم إرهاقاً، وقد يمتد هذا العمل إلى فترة أسبوع أو أسبوعين، بمعدل ٧ إلى٨ ساعات بما فيها إعداد الطعام للعمالة المساعدة من الرجال والنساء.

وأضافت ثلاث مستجوبات إن بيع المواشي عند الحاجة في السوق الأسبوعي يعتبر من الأعمال الموسمية التي نادراً ما توكل إليهنّ. لكن عملية البيع والتسوق إن تمت تستغرق نهاراً كاملاً. هذا بالإضافة إلى وجود أعمال موسمية أخرى تقوم بها النساء خارج المنزل مثل قطف الثمار وحصد المنتجات الزراعية الموسمية، وترتيب الأشجار، وغرس البذور في الوقت المخصص لغرسها.

في الوقت المخصَّص يوميّاً لتربية الحيوانات:

أشارت غالبية المستجوبات إلى أن الحيوانات التي يقمن بتربيتها هي الأغنام، الماعز، الأبقار، والدواجن. وتتركّز هذه الرعاية في إطعام هذه الحيوانات وإشرابها، وإحضار الأعلاف لها من المزارع والمراعي، وإزالة المخلفات من أماكن إقامتها، وكذلك حلب الأبقار وإناث الخرفان والماعزوتجميع محاصيل البيض..

وأضفن إن المدّة الزمنية التي تستغرقها منهنّ مسؤوليتهنّ عن الحيوانات ورعايتها هي كالآتي:

- بين ٣ إلى ٤ ساعات يومياً للعناية بالأبقار
- بين ٥ إلى ٦ ساعات لرعاية الأغنام في المراعي والتلال وحواري القرى، وكذلك لرعاية الماعز والاهتمام به.
- بين ١ إلى ٢ (ساعة) لرعاية الدواجن، بما في ذلك تجميع محصول البيض ورعاية الكتاكيت(صغار الدواجن).

خامساً: المرأة الريفية من منظور الذات والمجتمع:

نساء العيّنة نظرنَ إلى عملهنّ على أنه ذات أهمية وقيمة كبيرتين جداً. فالمرأة برأيهنّ تعمل أكثر من الرجل، لأنها تتولّى مهاماً متعدّدة، سواء اقتصرت هذه المهام على المنزل أو امتدّت لتشمل الحقل والتسوّق الأسبوعي. فهذه الأعمال التي يُضاف إليها الاهتمام بالأطفال ورعايتهم تستغرق منهنّ بين ٨ و١٥ ساعة يومياً. ومن أقوال إحدى النساء في إطار وصفها نشاطها اليومي[١٩] : ""**أستيقظ عند الساعة الرابعة والنصف صباحاً لأصلي صلاة الفجر، ومن ثم أقوم بإعداد الفطور للأسرة حتى الساعة السادسة والنصف، وبعدها أتوجه إلى حظيرة الحيوانات وأقوم بإطعامها وإحضار العلف لها وسقيها وتنظيف مكانها، وبعد ذلك أتوجه إلى المزرعة(الحقل) وأقوم بحصاد بعض المزروعات وسقيها إلى حدود الساعة الحادية عشرة والنصف ظهراً، ومن ثم أعود إلى المنزل حيث أصلي الظهر، ثم أقوم بإعداد طعام الغداء عند الساعة الواحدة بعد الظهر، ثم أبدأ بتنظيف الأواني إلى حدود الساعة الثانية أو الثالثة عصراً، وهو وقت العودة إلى الحقل، لإتمام العمل الذي بدأته في الصباح، ومن ثم أعود إلى المنزل قبيل صلاة المغرب لأصلي وأعدّ طعام العشاء؛ يلي ذلك**

[١٩] - كلام لإحدى المستجوبات من محافظة أبين خلال إجراء المقابلة.

قيامي بتنظيف المنزل والمطبخ والاهتمام بالأطفال وغسل الملابس، ومساعدة بقية أفراد الأسرة في أي أعمال أخرى. ولا أخلد إلى النوم حتى الساعة العاشرة والنصف مساءً[٢٠]".

أما عن القيمة الاجتماعية لعمل المرأة الريفية في الحقل من وجهة نظر الأسرة والمجتمع، فقد أجمعت ست نساء على أن الأسرة والمجتمع ينظران إلى عمل المرأة عموماً بتقدير واهتمام. لكن دون أن يعني ذلك أن عملها محسوب اقتصادياً. وذلك مقابل ٤ نساء اعتبرن أن الأسرة والمجتمع ينظران إلى عمل المرأة على أنه خالٍ من أيّ قيمة. إذ يُنظر إلى عملها على أنه عمل ناقص، لا تستمر فيه المرأة طوال الوقت. فضلاً عن اعتبار عملها في المنزل والحقل مقارنة بعمل الرجل وكأنه عمل بسيط لا قيمة مادية له.

وعن علاقة العمل المنزلي للمرأة بمكانتها الاجتماعية من وجهة نظر الأسرة والمجتمع،أكدت النساء أن هذه العلاقة وشيجة وكبيرة وأنها كذلك علاقة محسوبة اجتماعيا لصالح المرأة. إذ إنها تحظى بالتقدير والتشجيع والاحترام،سواء في إطار الأسرة أو في أطار المجتمع الكبير. وهذا على الرغم من أن الأعمال المنزلية التي تقوم بها المرأة غير محسوبة مادياً. في حين أن المرأة التي تعمل خارج نطاق المنزل يُنظر إليها باحترام وتقدير على الرغم أيضاً من اعتبار عملها خارج المنزل عملاً غير مكتمل ولا يساوي بالتالي العمل الذي يقوم به الرجل خارج المنزل.

في عائدات المرأة الريفية من العمل ودورها في اتخاذ القرار:

أشارت سبع مستجوبات إلى أن العائد الذي يحصلن عليه عموماً مقابل عملهنّ في المنزل والحقل عبارة عن حصة من إنتاج المحصول، في حال عملن خارج نطاق أسرهنّ. هذا بالإضافة إلى الغذاء والكساء وإلى بعض الهدايا غير المجزية أحياناً. ، فيما أشارت المستجوبات الثلاث المتبقيات إلى أن العائد الذي يحصلن عليه يتمثّل في الغذاء والكساء والهدايا التي يتلقّينها في المناسبات الدينية ومناسبات أخرى كالأعراس.

أما عن قدرتهنّ على التصرف بممتلكات الأسرة الزراعية والحيوانية دون استشارة الزوج أو الأسرة، فقد أكدت أغلبية المستجوبات على أن ذلك في مقدورهنّ وأن لهنّ حق التصرّف ببعض

---

[٢٠] **لمزيد من التعريف بدور المرأة الريفية راجع في ملحق البحث الجدول الذي توضح فيه إحدى المستجوبات من محافظة ذمار الأعمال اليومية التي تقوم بها.**

الحيوانات وبيعها عند الحاجة، هذا بالإضافة إلى إمكانيتهنّ المتاحة لجهة بيع بعض المنتجات الزراعية التي يحصلنَ عليها من الحقول"بعد عملية الحصاد". لكن هذه المسألة مشروطة بغياب ربّ الأسرة. بمعنى أنهنّ غير مضطّرات إلى استئذان الرجل/ربّ الأسرة إلا عند غيابه فقط، علماً بأنهنّ يصبحن مضطّرات في هذه الحالة لاستشارة أسرة الزوج قبل القيام بأي شيء.

على صعيد آخر أجمعت سبع نساء على أنهنّ يُستشرن عند توزيع مهام العمل في الحقل وكذلك عند بيع الحيوانات أو المحاصيل الزراعية. وقد حدّدت ست نساء منهنّ بعض المجالات الأخرى التي تجري استشارتهنّ بصددها، ومنها مثلاً الأمور الخاصة بتزويج أولادهنّ، ذكوراً كانوا أم إناثاً.

أما النساء الثلاث المتبقيات فلا تجري استشارتهن في مختلف المسائل التي تخصّ شؤون الأسرة بل ببعضها، كما لا تجري استشارتهنّ عند التصرّف بممتلكات الأسرة، من منزلية أو غيرها.

وعند سؤال النساء عن نتائج عدم مشاركة المرأة أو الزوجة في العمل الزراعي لسبب من الأسباب، أجابت خمس نساء بأن عدم مشاركة المرأة يحرم الأسرة من أهم مصدر من مصادر دخلها. هذا بالإضافة إلى اختلال الاستقرار النفسي والاجتماعي للرجل. وأشارت خمس نساء إلى أن عدم مشاركة المرأة في العمل الزراعي يؤدي إلى هدر المال والوقت. لأن العمل في مجال الزراعة من دون مساندة المرأة سوف يستغرق وقتاً أكبر، وسوف يضطّر ربّ الأسرة لدفع مبالغ نقدية أو محصول عيني لعمّال مساعدين.

خلاصة:

لقد بيّنا من خلال هذا البحث حجم الوقت الذي يستغرقه يستغرقها عمل المرأة الريفية في المنزل وفي الحقل من دون أن يجري احتساب هذا العمل ضمن النتاج القومي، أو حتى من دون أن يجري تقديره اجتماعياً. إذ يُحتسب عمل المرأة لصالح الرجل. وتلعب العادات والتقاليد السائدة دوراً رئيسياً ومباشراً في تغييب عمل المرأة وإنتاجها انطلاقاً من المفهوم المغلوط لتقسيم العمل الاجتماعي والذي يبنى على المبدأ البيولوجي(ذكور وإناث)، وليس على مبدأ احتساب حقيقة هذا. بحيث يخصّ هذا التقسيم النساء بالأعمال غير المنظورة مثل، الاهتمام بالأطفال، الأعمال المنزلية، بعض الأعمال الحقلية؛ ويخص الرجال بالأعمال ذات العائد المادي.

هذا ويعتبر عمل المرأة غير المنظور وإنتاجها سبباً أساسياً من أسباب تدني دورها ومكانتها الاجتماعية، بالإضافة إلى اشتراط تصرفها في ممتلكات الأسرة بغياب الرجل، لكن مع ضرورة استشارة أسرة الزوج أو المسؤول الأول في الأسرة. وكذلك حريتها المقيّدة في اتّخاذ القرار حيال أي شأن من شؤون الأسرة، لأن هذا الحق يقتصر على الرجل، أو على من ينوب عنه في غيابه. ولا تجري استشارتها إلا في بعض الأمور الأسرية مثل زواج الأولاد أو شراء بعض الممتلكات،أو بيع وشراء الحيوانات، وأنواع البذور...لكن هذه الاستشارات تكون بمثابة إعطاء العلم فقط لا غير. لأنه لا يحقّ لها المعارضة أو الرفض، والتأثير بالتالي على القرار الأساسي لربّ الأسرة .

تحملنا هذه المؤشرات جميعها إلى الواقع الحياتي للمرأة الريفية بما هو واقع شديد القسوة، لاسيما مع طغيان بعض العادات والتقاليد المعيقة لدورها. فحياتها كما تبدّت لنا خالية من أوقات الراحة أو الفراغ. مما يحول بالتالي دون اكتسابها ثقافة جديدة أو خبرات حديثة قد تنقلها لها وسائل الاتصال الجماهيرية كالتلفزيون، والإذاعات وغيرها من والوسائل الإعلاميّة.

ملحق

جدول بأعمال إحدى المستجوبات

الساعة	نوع العمل
٥ صباحاً	الاستيقاظ للصلاة
٥,١٥صباحاً	حلب البقرة أو الغنم
٦ صباحاً	إعداد الفطور
٨صباحاً	تنظيف المنزل والاعتناء بالأطفال ثم إعداد نفسها لعملها في الحقل.
١٠صباحاً	إطعام الحيوانات وجلب المياه من الآبار البعيدة.
١٢ ظهراً	تحضير طعام الغداء لكلّ أفراد الأسرة.
الواحدة والنصف ظهراً	تناول طعام الغداء، أو حمله إلى الرجل في الحقل في حال عدم حضوره إلى المنزل لتناوله.
الثالثة عصراً	مساعدة الرجل أثناء العمل في الحقل وجلب المياه وغسل الملابس.
الخامسة عصراً	إطعام الحيوانات، والبحث عن حطب.
السادسة مساءً	إعداد وجبة العشاء، ومتابعة الأولاد في المنزل.
الثامنة مساءً	تقديم العشاء لجميع أفراد الأسرة.
التاسعة مساءً	غسل أواني المطبخ، وتنظيفها.
التاسعة والنصف مساءً	تنويم الأطفال.
العاشرة مساءً	الخلود للنوم بعد عمل يوم شاق ومرهق.

المراجع

١ – مقبل هزاع،عبد الولي" واقع المرأة الريفية ودورها الاقتصادي في الزراعة"، بحوث اقتصادية عربية، مجلة عربية تصدرها اللجنة العربية للبحوث الاقتصادية، السنة الثامنة، العدد السابع عشر.

٢– غانم أحمد، عبد الرحمن: "دور المرأة اليمنية في التنمية الريفية"، الدراسات الاجتماعية، العدد الثامن١٩٩٩، جامعة العلوم والتكنولوجيا.

٣– الباز ،شهيدة: سياسة إستراتيجية النوع في مجال الزراعة والأمن الغذائي، يوليو ١٩٩٨.

٤– تقرير التنمية البشرية، اليمن ، وزارة التخطيط والتنمية، ١٩٩٨,

٥– غانم أحمد، عبد الرحمن: "دور المرأة اليمنية في التنمية الريفية"، الدراسات الاجتماعية، العدد الثامن١٩٩٩، جامعة العلوم والتكنولوجيا.

٦– المحفدي، أفراح: ، "المرأة ودورها في حماية البيئة وتحسينها"، ورقة عمل قدمت إلى ورشة العمل التدريبية، صنعاء، وزارة الزراعة، الإدارة العامة لتنمية المرأة الريفية، مايو ٢٠٠٠.

٧– الصلاحي ، فؤاد: ملخص دراسة بعنوان: "أوضاع المرأة الريفية وقضايا النوع الاجتماعي"، دراسة ميدانية تحليلية، صنعاء، المؤتمر الوطني الثاني للمرأة "المرأة شريك أساسي في التنمية"، ٨–١٠ مارس ٢٠٠٣".

٨ - الصياد، أحمد: المرأة اليمنية وتحديات العصر، ط١ ، دار المدى ، ١٩٩٥، ص ٤٣,

٩– اكربون، آن ماري ، كاترين بيجفيلد: دور المرأة في الثروة الزراعية والحيوانية في ج.ي.، منظمة أوكسفام، كانون الأول، ديسمبر، ١٩٩٥.

٩– سنتيامنتي: النساء والتنمية بالجمهورية العربية اليمنية، صنعاء، المجموعة الاستشارية للجهاز المركزي، ابريل١٩٨٣.

١٠– سنتيامينتي: المرأة والعمل والسكان والتنمية في الجمهورية اليمنية، صورة المرأة اليمنية في الدراسات الغربية، المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية، سلسلة دراسات، ترجمة أحمد جرادات.

١١– المؤتمر الوطني الأول للسياسات السكانية في الجمهورية اليمنية.

١٢ – السوسوة،أمة العليم: "إدماج المرأة في التنمية"، ورقة عمل، صنعاء، المركز اليمني للدراسات الاجتماعية وبحوث العمل، مارس١٩٩٧.

١٣- الأخفش ،أروى محمد علي: عمل وإنتاج المرأة غير المنظور وعلاقته بدورها ومكانتها في المجتمع(دراسة تطبيقية مقارنة بين الريف والحضر)، رسالة ماجستير، جامعة صنعاء، قسم علم الاجتماع، ، ,٢٠٠٢

١٤- الجهاز المركزي للإحصاء: التعداد العام للسكان والمساكن ٢٠٠٣.